أصدقاء دائما

كيف ضاعت اللؤلؤة؟

بقلم : محمود رمضان حميده

رسوم : ماهر عبد القادر

دار الرشاد

obeikandl.com

– يالـــهُ مِنْ صَباحٍ رَائـــعٍ !

الشَّمْسُ تَعْمُرُ الكَوْنَ بنُورِها ، والنَّسَماتُ تَهُبُّ لَطيفَةً مُنـــعِشَةً ، فَلماذا أَبْقَى قابِعَةً بالمَنـــزِلِ ؟

هَذا ما قَالَتـــهُ بِسْبِس وَهِيَ تَقْفِزُ بِرَشاقَةٍ مِنَ النـــافِذَةِ إِلَى الحديقَةِ لتَنـــطَلِقَ فِي جَوْلَةٍ واسِعَةٍ ، تَلْهُو وَتَمْرَحُ عَلَى هَوَاهَا : حِينًا تَتَسَلَّقُ أَشْجارَ التـــوتِ وعَرائِشَ الكُرومِ ، وَحِينًا تَتَوَاثَبُ خَلْفَ العصافيرِ والفَراشاتِ دُونَ أَنْ تَحْظَى بِوَاحِدَةٍ ، وَحِينًا تَتَمَرَّغُ فَوْقَ العُشْبِ الأَخْضَرِ ، ثُمَّ تَدُورُ حَوْلَ نَفْسِها لِتُطارِدَ ذَيْـــلَها ، فَإِنْ مَلَّتِ المطارَدَةَ انْطَلَقَتْ تَعْدُو هارِبَةً مِنْ عَدُوٍّ لا وُجُودَ لَهُ .

أَخيرًا أَعْجَبَها انْسِيابُ الماءِ فِي الجدْوَلِ القَرِيبِ ؛ فَوَقَفَتْ تَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ مَبْهُورَةً بانْعِكاسِ النـــورِ عَلَى صَفْحَتِهِ ، وَتَذَكَّرَتْ أَنـــها جائِعَةٌ حِينَ أَبْصَرَتْ سِرْبًـــا مِنَ الأَسْماكِ الصَّغِيرَةِ يَسْـــبَحُ مَعَ التَّـــيَّارِ ، فَنادَتْ مُسْـــتَعْطِفَةً :

– يا أَسْماكِي الفِضِيَّةَ هَيَّا لِنَلْعَبَ معًا ، اخْرُجِي سَرِيعًا مِنَ الماءِ ؛ فَالأَرْضُ وَاسِعَةٌ لَيْسَ فِيها كالنـــهْرِ بَـــلَلٌ ، والشَّمْسُ ساطِعَـــةٌ ، لا تَخَافِي مِنْ بَـــرْدٍ أَوْ مَـــلَلٍ .

وَتَجاهَلَتِ الأَسْماكُ النِّـداءَ ، فَتَضايَقَتْ بِسْبِس قَليلاً ، ثُمَّ الْتَـفَتَتْ تُراقِبُ فَراشاتٍ صَغيرَةً تَدُورُ فِي الهَواءِ كالدَّوَّامَـةِ ، وَتَعْلُو وتَهْبِطُ دُونَ أَنْ تُلامِسَ سَطْحَ الماءِ .

– لَيْـتَنِي كُنْتُ فَراشَةً صَغيرَةً لأَطِيرَ فَوْقَ الماءِ .

وسَمِعَتْ ضِحْكَةً ساخِرَةً تُشْبِهُ النَّقِيقَ ، فَصاحَتْ بِغَضَبٍ :

– مَنِ الَّذي يَضْحَكُ ساخِرًا مِنْ أُمْنِيَتِي الجَميلَةِ ؟

وجاءَها الرَّدُّ بِصَوْتٍ خَشِنٍ :

– أَيَّتُها الحَمْقاءُ ؛ أيُّهُما أجْمَلُ : قِطَّةٌ لَها عَيْنانِ فِي لَوْنِ السَّماءِ ، أمْ فَراشَةٌ لَها أجْنِحَةٌ كَتَوَيْجاتِ الزُّهورِ ؟

ورَدَّتْ بِغَضَبٍ أشَدَّ :

– لِماذا تَذْكُرُ عَيْنَيَّ فَقَطْ ؟ لِماذا لا تَتَحَدَّثُ عَنْ فِرائِيَ النّاعِمِ الجَميلِ ، وَذَيْلِيَ المَنْفُوشِ الطَّويلِ ، وشَوارِبِي اللاَّمِعَةِ كالفِضَّةِ ، وَهَيْئَتِي التي تَبْدُو كَهَيْئَةِ فَهْدٍ أوْ نَمِرٍ رَشيقٍ ؟

وَجاءَ الجَوابُ رَقيقًا ، مُهَذَّبًا :

– لا تَغْضَبِي مِنِّي يا آنِسَتِي الحَسْناءَ ، فَحينَ بَهَرَنِي جَمالُ عَيْنَيْكِ لَمْ أرَ سِواهُما .

وخَجِلَتْ بِسْبِس مِنْ نَفْسِها ، وَاعْتَذَرَتْ عَنْ غَضَبِها :

– اسْمي بِسْبِس ، وَلَيْسَ (آنِسَتي الحَسْناءَ) ، وَأرْجُو أنْ تُسامِحَنِي أيُّها المُغْرَمُ بِجَمالِ عَيْنَيَّ .

أعِدُكَ أنْ نَكُونَ صَديقَيْنِ ، وَلَكِنْ يا لَلْعَجَبِ ؛ إنِّي لَمْ أرَكَ بَعْدُ ! اسْمَعْنِي جَيِّدًا ؛ لا يَلِيقُ بِقِطَّةٍ مُحْتَرَمَةٍ مِثْلِي أنْ تُصادِقَ وَهْمًا لا وُجُودَ لَهُ .

وفي الحَالِ شَقَّ صَفْحَةَ الماءِ ضِفْدَعٌ صَغيرٌ قافِزًا إلَى الأرْضِ .
- أنا الصَّديقُ المُعْجَبُ بجَمالِكِ الرَّائِعِ البَديعِ .
- وأنا سَعيدَةٌ بِكَ أيُّـها الضِفْدَعُ المَرِحُ الظَّريفُ .
وَجَرَى بَيْنَ الصَّديقَيْنِ تَعارُفٌ وَحِوارٌ طَويلٌ .

وَانْتَبَهَتْ بِسْبِس فَجْأَةً ، فَإذا ثُعْبانٌ كَبيرٌ يَزْحَفُ بَيْنَ العُشْبِ مُتَّجِهًا بِهُدُوءٍ نَحْوَ الضِّفْدَعِ الغافِلِ .

– احْتَرِسْ ياصَديقي ؛ الثُّعْبانُ يَنْسابُ نَحْوَكَ .

ولَمْ تَكْتَفِ بِسْبِس بِالكَلامِ ، وَإنَّما قَفَزَتْ بِشَجاعَةٍ تَقْطَعُ الطَّريقَ عَلَى الثُّعبانِ ، وَتَدْخُلُ مَعَهُ فِي مَعْرَكَةٍ حاسِمَةٍ .

وأدْرَكَ الثُّعْبانُ أنَّهُ أمامَ عَدُوٍّ بارِعٍ يُجيدُ القِتالَ والمُناوَرَةَ ، فَقَرَّرَ الانْسِحابَ سَريعًا :

– لَيْسَ بَيْني وَبَيْنَكَ يابِسْبِس سَبَبٌ لِلْحَرْبِ والخِصامِ ، فَاسْمَحي لِي أنْ انْسَحِبَ فِي سَلامٍ .

– أيُّها الشِّرِّيرُ ؛ كُنتَ تَطْمَعُ فِي ابْتِلاعِ صَديقِي .

رَدَّ الثُّعبانُ بِحِكْمَةٍ :

– لَسْتُ شِرِّيرًا ، وأنا أُحِبُّ الضِّفْدَعَ لأنَّهُ طَعامِي المُفَضَّلُ كَما أنَّكِ تُحِبِّينَ الأسْماكَ .

وَتَذَكَّرَتْ بِسْبِس الأسْماكَ التي تَشْتَهيها كَثيرًا ، فَأخْلَتْ سَبيلَ الثُّعْبانِ بَعْدَما دَاعَبَتْ ذَيْلَهُ الطَّويلَ .

بِالطَّبْعِ شاهَدَ الضِّفْدَعُ كُلَّ ماجَرَى ، وَبَدا مُمْتَنًّا شاكِرًا لِبِسْبِس حُسْنَ صَنيعِها :

– أنا مَدينٌ لَكِ بِحَياتِي ، فَاسْمَحي لِي أنْ أرُدَّ لَكِ الجَميلَ .

وفِي الحالِ قَفَزَ إلَى الماءِ ، وَاخْتَفَى قَليلاً ، ثُمَّ عادَ وبِفَمِهِ لُؤْلُؤَةٌ صَغيرَةٌ تَشِعُّ بِبَريقٍ عَجيبٍ :

– تِلْكَ هَدِيَّتِي لَكِ ، أرْجُو أنْ تَقْبَلِيها تِذْكارًا لِصَداقَتِنا .

وَعَادَ الضِّفْدَعُ سَريعًا إِلَى الماءِ ، بَيْـنَما أَخَذَتْ بِسْبِس اللُّؤْلُؤَةَ وَمَضَتْ مَسْرُورَةً تُفَكِّـرُ : مَاذا أَفْعَـلُ بِها ؟

واتَّجَهَتْ إِلَى المَنْزِلِ ، وَقَفَزَتْ إِلَى حِجْرِ صاحِبِها ، وَحِينَ مَدَّ يَدَهُ مُداعِبًا وَضَعَتْ فِيها اللُّـؤْلُـؤَةَ ، فَصاحَ بِانْبِهارٍ :

- ماأَرْوَعَها ، مِنْ أَيْنَ أَتَـيْتِ بِها ؟!

وَرَوَتْ لَهُ ماجَرَى ، ثُمَّ عَرَضَتْ عَلَيْهِ أَنْ يَأْخُذَ اللُّؤْلُؤَةَ وَيُعْطِيَها سَمَكَةً كامِلَةً وبِالطَّبْعِ وافَقَ ، ومَعَ السَّمَكَةِ أَعْطاهَا نَصيحَةً نافِعَةً :

- اخْرُجِي يابِسْبِس كُلَّ صَباحٍ ، وَصادِقِي كُلَّ الضَّفادِعِ والثَّعابِينِ لأَنِّـي أُرِيدُ المَزِيدَ مِنَ اللُّـؤْلُـؤِ الثَّـمِينِ .

فِي اللَّيْلِ بَيْنَـما كانَ الرَّجُلُ نائِمًا ، رَأَى حُلْمًا عَجِيبًا :

ظَهَرَتْ لَهُ فَتاةٌ حَسْناءُ بارِعَةُ الجَمالِ ، يَشِعُّ مِنْ عَيْنَـيْها بَرِيقٌ ساحِرٌ أَخَّاذٌ ، سَأَلَها وَهُوَ مَأْخُوذٌ بِحُسْنِها :

- مَنْ أَنْتِ ياأَجْمَلَ الحَسْناوَاتِ ؟

رَدَّتْ بِصَوْتٍ عَذْبٍ ، رَقِيقٍ :

- أَنا اللُّؤْلُؤَةُ التِي مَنَحَتْكَ إِيَّـاها بِسْبِس ، وَقَدْ جِئْتُـكَ بِبُشْرَى طَيِّبَةٍ .

- هات ماعنْدَكَ ياسرَّ سَعادَتي .
- مَنْ يَمْلِكُني يَمْلِكُ القُوَّةَ ، وَمَعَها يَمْلِكُ الجاهَ والثَّرْوَةَ ؛ ولَكِنْ بِشَرْطٍ صَغيرٍ .
- أسْمَعُهُ وأعْمَلُ بِهِ عَنْ طِيبِ خاطِرٍ ، أعِدُكَ بِذَلِكَ .
- عَلَيْكَ أنْ تَكُونَ نافِعًا لِلنـــاسِ ولِلْبيئَةِ التي تَعيشُ فيها .

ثُمَّ اخْتَـــفَتِ الفَتاةُ ، وانْتَـــهَى الحُلْمُ .

obeikandl.com

واسْتَيْقَظَ الحَالِمُ مَعَ شَقْشَقَةِ الطُّيورِ فِي الصَّباحِ لِيَشْعُرَ بِتَيَّارٍ مِنَ القُوَّةِ يَسْرِي فِي جَسَدِهِ ، وَيَرَى مُعْجِزَةً رائِعَةً تَتَحَقَّقُ : المَنْزِلُ الصَّغِيرُ صَارَ قَصْرًا ، والحَدِيقَةُ تَرَامَتْ أَطْرافُها ، وَبَدَتْ كَجَنَّةٍ وَارِفَةِ الظِّلالِ شَهِيَّةِ الثِّمارِ ، تَفِيضُ بِالعِطْرِ والضِّياءِ ، وَخَلْفَ الحَدِيقَةِ غاباتٌ وَمُرُوجٌ وأَنْهارٌ .

- يا إِلَهِي ؛ لا أُصَدِّقُ عَيْنَيَّ ، ما أَرَاهُ لا يَحْدُثُ إِلاَّ فِي حِكايَةٍ جَمِيلَةٍ ، يَمْتَزِجُ فِيها الخَيالُ بِالحَقِيقَةِ .

وللتَّوِّ ظَهَرَتْ بِسْبِس أَمَامَهُ وَقالَتْ :

- خَيالٌ وَحَقِيقَةٌ ، كُلُّ شَيءٍ مِلْكُكَ يا صَاحِبِي .

فَسَأَلَهَا بِلَهْفَةٍ :

- القَصْرُ والحَدِيقَةُ ؟

- والمُرُوجُ والغَابَاتُ والأَنْهارُ .

- لا تُبالِغِي يا بِسْبِس ، أَخْشَى أَنْ أُصَدِّقَ ما تَقُولِينَ .

- لا أُبَالِغُ ، واللُّؤْلُؤَةُ أَخْبَرَتْنِي بِذَلِكَ .

فَتَساءَلَ بِدَهْشَةٍ : مَتَى ، وَكَيْفَ ؟

وأَجَابَتْ بِسْبِس :

- جَاءَتْنِي فِي المَنامِ بِهَيْئَةِ فَتاةٍ جَمِيلَةٍ يَشِعُّ مِنْ عَيْنَيْها بَرِيقٌ أَخَّاذٌ .

وَهُنا رَقَصَ الرَّجُلُ فَرَحًا :

- أَشْعُرُ بِقُوَّةٍ عَجيبَة ، وَأُصَدِّقُ الآنَ حَديثَ الثَّرْوَةِ والجَاهِ ، أنا وأنْتِ ياقِطَّتي رَأَيْنا حُلْمًا واحِدًا ، والحُلْمُ تَحَقَّقَ كامِلاً .

* * * * *

مَرَّتْ أيـــامٌ طَويلَةٌ ، وذَاتَ صَباحٍ وَجَدَتْ بِسْبِس نَفْسَها قُرْبَ الجَدْوَلِ ، فَتَذَكَّرَتِ الضِّفْدَعَ ، واشْتاقَتْ أنْ تَرَاهُ :

- آه لَوْ تَأْتي الآنَ ياضِفْدَعي الصَّغيرَ .

وَجَاءَهَا الرَّدُّ مِنْ خَلْفِها :

- أنا هُنا ، كَيْفَ حَالُكِ يابِسْبِس وَحَالُ اللُّـــؤْلُـــؤَةِ ؟

وَالْتَفَتَتْ نَحْوَ الصَّوْتِ بِفَرَحٍ ، وأجَابَتْ :

- أنا بِخَيْرٍ ، واللُّـــؤْلُـــؤَةُ مَعَ صاحِبِي الإنْسانِ ، بِفَضْلِها أصْبَحَ فِي قُوَّةِ الثَّوْرِ ، وَمَعَ القُوَّةِ حازَ الثَّرْوَةَ والجَاهَ .

قَالَ الضِّفْدَعُ :

- لا شَكَّ هُوَ سَعيدٌ بِاللُّـــؤْلُـــؤَةِ وعَطائِها .

وَرَدَّتْ بِسْبِس :

- لا ؛ لَيْسَ سَعِيدًا عَلَى الإطْلاقِ ، فَهُوَ دائِمًا يُرِيدُ المَزِيدَ .

تَعَجَّبَ الضِّفْدَعُ ، وَقَالَ :

- شَيءٌ غَرِيبٌ !

beikantoon

- الأغْرَبُ أنْ يَنْسَى مَالَدَيْهِ وَيَتَطَلَّعَ لِما بِيَدِ غَيْرِهِ لِيَنالَهُ بِالبَطْشِ وَالعُدْوَانِ ؛ مِنْ أجْلِ هَذَا كَرِهَهُ النـــاسُ ، وَابْتـــعَدُوا عَنـــهُ .

وَثَبَ الضِّفْدَعُ مِنْ مَكانِهِ وَقَالَ :

- سَيُعانِي صَاحِبُكِ مِنَ الوِحْدَةِ والمَلَلِ .

وَرَدَّتْ بِسْبِس مُوَافِقَةً :

- يَهْرُبُ مِنْهُما بالخُرُوجِ فِي رِحْلاتِ صَيْدٍ مُتَتابِعَةٍ ، يَقْتُلُ خِلالَها الثَّعالِبَ والأرانِبَ ، والفُهُودَ والظِّباءَ .

- وَمَاذا أيْضًا ؟

- يَقْطَعُ الأشْجَارَ ، وَيَحْرِقُ مِساحَاتٍ واسِعَةً مِنَ الغَابَةِ .

فَكَّرَ الضِّفْدَعُ فِيما سَمِعَ بِاهْتِمامٍ ، ثُمَّ قالَ :

- انْتَظِرِي عَوْدَتِي يابِسْبِس .

وفِي الحالِ قَفَزَ إلَى الماءِ ، ثُمَّ عادَ وَبِفَمِهِ لُؤْلُؤَةٌ جَدِيدَةٌ .

كانَتِ اللُّؤْلُؤَةُ أكثَرَ تألُّقًا وبَرِيقًا مِنَ السَّابِقَةِ .

- إلَيْكِ تِلْكَ اللُّؤْلُؤَةَ يابِسْبِس ، قَدِّمِيها هَدِيَّةً لِصَاحِبِكِ ، أخْبِرِيهِ أنَّها سَتَمْنَحُهُ ثَرَاءً أوْسَعَ ، وَجَاهًا أعْظَمَ ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَنْ يَتَحَقَّقَ إلاَّ إذَا أعَادَ إلَيْكِ اللُّؤْلُؤَةَ الأولَى .

- وَمَاذَا أفْعَلُ باللُّؤْلُؤَةِ الأولَى ؟

أجَابَ الضِّفْدَعُ :

- تُسَارِعِينَ بِرَدِّها إلَيَّ .

أخَذَتْ بِسْبِس اللُّؤْلُؤَةَ الجَدِيدَةَ ، وَعَادَتْ إلَى صَاحِبِها .

- ياصَاحِبِي ؛ إلَيْكَ لُؤْلُؤَةً جَدِيدَةً تَمْنَحُكَ ثَرَاءً وَجَاهًا بِغَيْرِ حُدُودٍ .

وَانْبَهَرَ الرَّجُلُ بِجَمالِ اللُّؤْلُؤَةِ وَبِالْبُشْرَى السَّعِيدَةِ :

– ياقِطَّتِي الجَمِيلَةَ ؛ سَأَمْنَحُكِ أَكْبَرَ سَمَكَةٍ عِنْدِي .

وَرَدَّتِ القِطَّةُ :

– لا أُرِيدُ سَمَكًا ، أُرِيدُ فَقَطِ اللُّؤْلُؤَةَ القَدِيمَةَ لأُرُدَّها لِلضِّفْدَعِ ، هَذا شَرْطُهُ كَيْ تَسْتَفِيدَ مِنَ اللُّؤْلُؤَةِ الجَدِيدَةِ .

وبسُرْعَةٍ قَارَنَ الرَّجُلُ بَيْنَ اللُّؤْلُؤَتَيْنِ ، وَاخْتارَ الجَديدَةَ ، ثُمَّ ألْقَى بالقَديمَةِ إلَى بسْبس ، فَأخَذَتْها وَانْطَلَقَتْ تُريدُ الضِّفْدَعَ ، وأمَامَهُ ألْقَتْ بها قائلَةً :

- خُذْها ياصَديقي .

وفي الحالِ هَبَطَ غُرابٌ أسْوَدُ اللَّوْنِ مِنْ غُصْنِهِ القَريبِ ، وَالْتَقَطَ اللُّؤْلُؤَةَ لِيُحَلِّقَ بها بَعيدًا ، وَانْزَعَجَتْ بسْبس بِشِدَّةٍ :

- الغُرابُ أخَذَ اللُّؤْلُؤَةَ .

وَرَدَّ الضِّفْدَعُ مُطَمْئِنًا لَها :

- لا تَقْلَقي ، سَيَعْرِفُ الغُرابُ كَيْفَ يُحافِظُ عَلَيْها ، والآنَ وَدَاعًا .

وغَادَرَ الضِّفْدَعُ المكانَ ، بَيْنَما انْطَلَقَتْ بسْبس في جَوْلاتٍ مَرِحَةٍ بَقِيَّةَ يَوْمِها ، وفي المَساءِ قَرَّرَتْ أنْ تَرْجِعَ لِصَاحِبِها .

ومَاأعْجَبَ مارَأتْ !!

الغَابَاتُ والمُرُوجُ وَالأنْهارُ اخْتَفَتْ بِالتَّدْرِيجِ ، والقَصْرُ عَادَ مَنْزِلاً تُحيطُ بِهِ الحَديقَةُ القَديمَةُ .

- ياإلَهي ، مَاذَا يَجْرِي مِنْ حَوْلِي ؟!

وَبسُرْعَةٍ قَفَزَتْ بسْبس مِنَ النـــافِذَةِ المَفْتُوحَةِ لِتَجِدَ صَاحِبَها حَزِينًا يَبْكِي ، وَتَسَاءَلَتْ :

- مَاسِرُّ بُكائِكَ ؟
فَفَتَحَ يَدَهُ أَمَامَها فَإِذَا بِها تَحْوِي بَعْضَ التُّرابِ .
- ماهَذَا التُّرابُ الَّذِي بِيَدِكَ ؟
أَجَابَ بِحَسْرَةٍ وأَلَمٍ :
- تِلْكَ هِيَ اللُّؤْلُؤَةُ الجَدِيدَةُ .
- مَاذَا ؟!

وحَكَى الرَّجُلُ لِلْقِطَّةِ مامَرَّ بِهِ مِنْ أحْداثٍ عَجيبَة :

- كُنْتُ جَالِسًا بِمُفْرَدِي أتَـأَمَّلُ لُؤْلُؤَتِي الجَدِيدَةَ وأنَاجِيها : " يَابَهجَةَ أيَّامِي ، ياأصْفَى مِنَ السَّماءِ ، وأرَقَّ مِنَ الماءِ ، هيَّا أشْرِقِي بِحُسْنِكِ الفَتَّـانِ ، وضَاعِفِي فَرْحَتِي بِمَزِيدٍ مِنَ المالِ والسُّلْطانِ ." وعِنْدَئِذٍ أخَذَنِي نُعاسٌ ثَقِيلٌ ، فَغَفَوْتُ قَلِيلاً لأرَى أمَامِي فَتاةً لَمْ تَكُنْ أبَدًا حَسْناءَ ، ولَمْ يَكُنْ لَها عُذُوبَةُ صَوْتِ الفَتاةِ التِي رَأيْناهَا فِي المنامِ ومَعَ هَذَا رَحَّبْتُ بِها وَاستَبْشَرْتُ خَيرًا بِمَجِيئِها :

- هيَّا يافَتَـاتِي الرَّائِعَةَ ؛ هَبِي لِي مَزِيدًا مِنَ الثَّـراءِ والرَّخَاءِ ، ولَكِنْ مَهْلاً ، أعْرِفُ أنَّ لَدَيْكِ شَرْطًا ، وأنَا مُسْـتَعِدٌّ لِتَنـْفِيذِهِ ، تَمامًا كَما فَعَلْتُ مَعَ اللُّـؤْلُـؤَةِ السَّابِقَةِ .

وَجَاءَ رَدُّها حاسِمًا :

- لا وَقْتَ عِنْدِي للشُّروطِ والوُعُودِ ، بَعْدَ قَلِيلٍ يَذْهَبُ عَنْكَ النُّـعاسُ ، وَتَنْهَضُ مِنْ غَفْوَتِكَ ؛ فَإنْ وَجَدْتَ اللُّؤْلُؤَةَ تُومِضُ بَيْنَ يَدَيْكَ فَاعْلَمْ أنَّـكَ نافِعٌ لِغَيْرِكَ ، مُسْتَحِقٌّ لِلْمُكافَأةِ ، وَإنْ وَجَدْتَها تُرابًا فاعْلَمْ أنَّـكَ عَدُوٌّ لِنَفْسِكَ وَلِغَيْرِكَ ، مُستَحِقٌّ للعِقابِ .

وَاخْتَفَتِ الفَتاةُ وَانتَهَى الحُلْمُ ، وَاستَيْقَظْتُ لأجِدَ بَيْنَ أصَابِعِي تُرابًا ناعِمًا ، وَتَطَلَّعْتُ حَوْلِي خَائِفًا لأرَى كُلَّ شَيءٍ يَضِيعُ وَيَتَلاشَى .

سَمِعَتْ بِسْبِس ما رَوَاهُ صَاحِبُها ، وَأَشْفَقَتْ عَلَيْهِ كَثِيرًا ، أَمَّا هُوَ فَرَاحَ يَتَوَسَّلُ إِلَيْها :

– اللُّؤْلُؤَةُ الجَدِيدَةُ كانَتْ زَائِفَةً وَلَقَدْ خَدَعَنِي مَظْهَرُها البَرَّاقُ ، مِنْ أَجْلِ هَذا أَتَوَسَّلُ إِلَيْكِ أَنْ تُعِيدِي لِي لُـؤْلُـؤَتِي الأُولَى .

وَرَدَّتْ بِسْبِس بِلَهْجَةٍ هادِئَة :

– اللُّـؤْلُـؤَةُ الأُولَى أَخَذَها الغُرابُ وطَارَ .

وفي غَيْظٍ تَساءَلَ :

- كَيْفَ نَكُونُ صَديقَيْنِ وَتَسْخَرينَ مِنِّي ؟

- أُؤَكِّدُ لَكَ أنِّي أقُولُ الحَقيقَةَ .

- لا أصَدِّقُ ، فَاللُّؤْلُؤَةُ عِنْدَ الضِّفْدَعِ ، هيَّا نَذْهَبُ إلَيْهِ مَعًا .

اسْتَجابَتِ القِطَّةُ لِرَغْبَتِهِ ، وَسارَتْ أمامَهُ إلَى مَكانِ الضِّفْدَعِ ، وَعِنْدَما اقْتَرَبا مِنَ الجَدْوَلِ تَوَقَّفا أمامَ مَنْظَرٍ لَمْ يَخْطُرْ لَهُما عَلَى بالٍ :

كانَ الضِّفْدَعُ يَجْلِسُ غافِلاً عَمَّا حَوْلَهُ ، بَيْنَما الثُّعْبانُ يَنْسابُ نَحْوَهُ سَريعًا ، وفي مِثْلِ لَمْحِ البَصَرِ يَنْقَضُّ عَلَيْهِ وَيَبْتَلِعُهُ .

وَهَكَذا اخْتَفَى الضِّفْدَعُ مِنَ الوُجُودِ ، ولَمْ تَسْتَطِعْ بِسْبِس أنْ تُنْقِذَهُ فِي تِلْكَ المَرَّةِ .

واعْتَذَرَ الثُّعْبانُ لِبِسْبِس :

- لا تَغْضَبي مِنِّي ، فأنا أحِبُّ الضِّفْدَعَ حُبًّا مِنْ نَوْعٍ خاصٍّ .

ولَمْ تَكُنْ بِسْبِس غاضِبَةً مِنَ الثُّعْبانِ – فَلابُدَّ لَهُ مِنَ الطَّعامِ – لَكِنَّها فَقَطْ كانَتْ حَزِينَةً لِضَياعِ صَديقٍ نَبيلٍ .

أمَّا الرَّجُلُ فَقالَ :

- لَيْتَنا لَمْ نَتَأخَّرْ عَنِ الضِّفْدَعِ فَهُوَ وَحْدَهُ يَعْرِفُ مَكانَ اللُّؤْلُؤَةِ .

ثُمَّ تَحَرَّكَ مُغادِرًا ، لَكِنَّهُ تَوَقَّفَ حِينَ سَمِعَ صَوْتًا صاخِبًا :

- غاقْ ، غاقْ .

وَتَكَرَّرَ الصَّوْتُ مَرَّاتٍ ومَرَّاتٍ ، فَتَطَلَّع نَحْوَ مَصْدَرِهِ لِيَجِدَ الغُرابَ فَوْقَ غُصْنِهِ ، بَيْنَما بِسْبِس تَرْقُبُهُ وَتَقُولُ :

- حقًّا ، أَنْتَ أَكثرُنا حِكْمَةً أيُّها الغُرابُ العَجُوزُ .

وَتساءَلَ الرَّجُلُ بِدَهْشَة :

– أَيْنَ الحِكْمَةُ يابِسْبِس فِي كَلِماتٍ مُبْهَمَة : غاقْ ، غاقْ ؟

وَرَدَّتْ بِسْبِس بِثِقَة :

– بَعَثَ الغُرابُ إِلَيْكَ بِرِسالَتَيْنِ ؛ فِي الأُولَى يَقُولُ : مَازالَتِ اللُّؤْلُؤَةُ مَعَكَ يَاإِنْسانُ ، إِنَّها الأَرْضُ الطَّيِّبَةُ تُعْطِي بِسَخاءٍ وَكَرَمٍ ، وَأَنْتَ تُقابِلُ العَطاءَ بِجُحُودٍ وَنُكْران .

وهُنا صاحَ الرَّجُلُ بِغَضَب :

– لا تُراوِغِي يابِسْبِس فِي الكَلام ، مُنْذُ قَلِيلٍ قُلْتِ : أَخَذَ الغُرابُ اللُّؤْلُؤَةَ وطارَ . فَهَلْ يطِيرُ الغُرابُ بِالأَرْضِ ؟

أَجَابَتْ بِسْبِس :

– الغُرابُ لَمْ يَأْخُذ الأَرْضَ ، وإِنَّما أَخَذَ الرَّمْزَ ؛ وَتِلْكَ هِيَ رِسالَتُهُ الثَّانِيَةُ : مالا تُدْرِكْ قِيمَتَهُ ، فَدَعْهُ لِغَيْرِكَ .

فَهِمَ الرَّجُلُ الرِّسالَتَيْنِ ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْفِيَ خَجَلَهُ فَصَاحَ :

– بِسْبِس ؛ سَأَقْتُلُ الثُّعْبانَ انْتِقامًا لِصَدِيقِكِ الضِّفْدَعِ المِسْكِينِ .

فَانْتَفَضَتْ بِسْبِس ، وَقالَتْ بِحِدَّة :

– لا ، أَرْجُوكَ ابْتَعِدْ عَنِ القَتْلِ وَاعْلَمْ أَنَّ الثُّعْبانَ أَيْضًا صَدِيقِي .

- إذَنْ هيَّا إلَى المَنْزِل ، عِنْدي لَكَ وَجبَةٌ منَ السَّمَكِ اللَّذيذ .
وفي حَنانٍ ورِقَّةٍ حَمَلَ الرَّجُلُ بِسْبِس الجَميلَةَ ، وَضَمَّها إلَى صَدْرِه ، واتَّجَهَ لِمَنْزِلِه القَديمِ ، بَيْنَما هَتَفَتْ بِسْبِس :
- وَدَاعًا ياصَديقِي الغُرابَ .
* * *

هيَّا نُفكِّرْ :

" الأرْضُ الطَّيِّبَـةُ تُعْطِي بِسَخاءٍ وَكَرَمٍ ، فَيُقابِلُ الإنْسانُ العَطاءَ بِالجُحُودِ ."

★ اذْكُرْ بَعْضًا مِنْ صُوَرِ العَطَاءِ ، وَبَعْضًا مِنْ أشْكالِ الجُحُودِ .

★ كَيْفَ نُحافِظُ عَلَى أرْضِنا الرَّائِعَةِ لِتَبْقَى مِعْطاءَةً عَلَى الدَّوامِ ؟

* * *

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب المصرية

إدارة الشئون الفنية

حميده، محمود رمضان .

كيف ضاعت اللؤلؤة ؟ / بقلم محمود رمضان حميده ؛

رسوم ماهر عبد القادر .- ط١ . - القاهرة : دار الرشاد ، ٢٠١٠ .

٢٤ ص؛ ٢٣x ٢٣ سم . - (أصدقاء دائما)

تدمك ٢- ١١٥ - ٣٩٤ - ٩٧٧- ٩٧٨.

١- قصص الأطفال .

أ- عبد القادر ، ماهر (رسام)

ب- العنوان ٨١٣,٠٢

ج - المسلسلة .

الناشـــر : دار الرشاد

العنـــوان : ١٤شارع جواد حسنى – القاهرة

تليفاكس: ٢٣٩٣٤٦٠٥

بريد إلكتروني: Dar_alrashad @ hotmil.com

رقم الإيداع : ٤٠٢٤ / ٢٠١٠

الطبـــع : عربية للطباعة والنشر

العنـــوان : ١٠، ٧ ش السلام – أرض اللواء- المهندسين

تليفـــون : ٣٣٢٥٦٠٩٨ - ٣٣٢٥١٠٤٣

إخراج الغلاف: للفنان عبادة الزهيرى

الطبعة الأولى: ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

obeikandl.com